

ما بين الحسين والعباس

<"xml encoding="UTF-8?>



مما لا شك فيه أنّ أبا الفضل العباس كان الشخصية الرئيسية الثانية بعد الإمام الحسين (عليه السلام) فهو أخوه، وحامل لوايه، والتأثير معه ضدّ الظلم والطغيان المتمثّلين بالحكم الأموي الذي كان على رأسه يزيد الفاسق الفاجر.

ولاشك أن تميّز العباس بمقام خاص دون سائر شهداء كربلاء يشير إلى منزلة خاصة ومرتبة رفيعة عند الله عزّ وجلّ، وهذه المنزلة لم تكن له لمجرد أنّه أخو الحسين (عليه السلام)، بل لما هو أهم من ذلك وفق مقاييسنا الإسلامية القائمة على ميزان الصلاح والتقوى طبقاً لقوله: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتَقَاءُكُمْ ...﴾ .¹

ومما يؤسف له أن سيرة العباس (عليه السلام) ليست متوفّرة بشكلٍ كافٍ حتى يستطيع الإنسان أن يعطي صورة تفصيلية من حياة ذلك المجاهد المضحي، إلا أنّ مواقفه في كربلاء بالخصوص يمكن أن تلقي ضوءاً لا بأس به يشير بوضوح إلى عظمة تلك الشخصية التي وقفت مع الحسين (عليه السلام) في أصعب الظروف إلى أن نالت درجة الشهادة الرفيعة والعظيمة في سبيل الله.

فالحسين (عليه السلام) قائد الثورة الهدافـة إلى الإصلاح في مسيرة أمة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعباس ثائر على خطى قائدـه وسيـده، يطـيع الأمر المتوجـه إليه من موقع التـابـع النـاـصـر لا من موقع الأخـ المـتـابـع لأـخـيهـ من دون وضـوح السـبـبـ والـرـؤـيـةـ، مع كـمـالـ التـقـدـيرـ مـنـهـ وـالـاحـترـامـ لـمـوـقـعـ الإـمـامـ الحـسـيـنـ (عليـهـ السـلـامـ) الـقـيـادـيـ لـلـأـمـةـ بـالـنـصـ النـبـويـ الـخـالـدـ.

فالعباس الذي عاش أعلى درجات الوفاء لإمامـهـ وـقـائـدهـ كـمـاـ فـيـ الحـادـثـةـ الـمعـرـوفـةـ عـنـدـمـاـ ذـهـبـ لـإـحـضـارـ المـاءـ مـنـ نـهـرـ الـفـرـاتـ، حـيـثـ دـفـعـ جـيـشـ بـيـزـيدـ وـوـصـلـ إـلـىـ النـهـرـ وـمـدـ يـدـهـ لـيـشـرـبـ المـاءـ فـتـذـكـرـ أـنـ سـيـدـهـ لـمـ يـذـقـ المـاءـ، فـيـدـفعـ بـهـ إـلـيـاثـارـ وـإـلـخـلـاصـ إـلـىـ رـمـيـ ذـلـكـ المـاءـ وـعـدـمـ تـذـوقـهـ مـعـ الـحـاجـةـ الـمـاسـةـ إـلـيـهـ تـحـسـسـاـًـ مـنـهـ بـعـطـشـ أـخـيهـ الـذـيـ هـوـ فـيـ مـوـقـعـ الـقـائـدـ وـالـإـمـامـ.

فـهـذـاـ التـصـرـفـ يـثـبـتـ بلاـ شـكـ أـنـ الـأـخـ فـيـ الـحـسـبـ وـالـنـسـبـ عـنـدـمـاـ يـتـكـامـلـ مـعـ الـأـخـ فـيـ الـدـيـنـ وـالـمـعـتـقـدـ وـالـأـهـدـافـ الرـسـالـيـةـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ خـيـرـ مـعـيـنـ وـنـصـيـرـ، لـأـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـأـخـ الـعـارـفـ وـالـبـصـيرـ سـوـفـ لـنـ يـفـوتـ أـيـةـ فـرـصـةـ مـنـ أـجـلـ مـسـاعـدـةـ أـخـيهـ فـيـ كـلـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـقـقـ التـقـدـمـ نـحـوـ الـآـمـالـ الـمـنـشـودـةـ.

ولـهـذـاـ نـجـدـ الـعـبـاسـ فـيـ كـرـبـلـاءـ لـاـ يـتـرـكـ مـنـاسـبـةـ لـلـتـعـبـيرـ عـنـ وـلـائـهـ وـوـفـائـهـ لـلـحـسـيـنـ (عليـهـ السـلـامـ) إـلـاـ وـيـقـدـمـ عـلـيـهـ، فـتـارـأـ يـرـفـضـ أـمـانـ الـأـمـوـيـنـ الـذـيـ أـعـطـوـهـ لـهـ وـلـإـخـوـتـهـ مـنـ أـمـهـ لـأـنـ لـهـ قـرـابـةـ مـعـ أـحـدـ قـادـةـ الـجـيـشـ الـأـمـوـيـ "ـشـمـرـ بـنـ ذـيـ الـجـوـشـ"ـ وـيـجـيـبـهـ الـعـبـاسـ (عليـهـ السـلـامـ): (ـلـعـنـكـ اللـهـ، أـتـؤـمـنـاـ وـابـنـ رـسـوـلـ اللـهـ لـاـ أـمـانـ لـهـ، وـتـأـمـنـاـ أـنـ نـدـخـلـ فـيـ طـاعـةـ الـلـعـنـاءـ وـأـوـلـادـ الـلـعـنـاءـ!).

وكذلك من المواقف المشهودة له والتي يمكن اعتبارها من الدروس البليغة جداً للمجاهدين هو ما قام به ليلة العاشر من المحرم عندما طلب الإمام الحسين (عليه السلام) من أصحابه أن يتركوه وحيداً ويتسقّلوا في الصحراء آخذين معهم أهل بيته، باعتبار أنّ الأمويين إذا ظفروا بالحسين (عليه السلام) لم يعد الآخرون هدفاً مهمّاً لهم نجد أنّ العباس ينتفض أمام كلّ ذلك الجمع من الأنصار ليقول: (لم نفعل ذلك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً)، وكان هذا الموقف مشجّعاً للباقيين على البقاء، بينما لو كان موقف العباس هو غير ذلك لعلّه كان قد أثار بعض الخوف والقلق في نفوس الآخرين.

ولهذا نجد أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يدفع بالعباس إلى القتال في أول وقت المعركة، بل تركه إلى أواخر أوقاتها، نظراً للطمأننان الذي كان يشعر به الحسين (عليه السلام) لوجود العباس قريبه بسبب رابطة الأخوة المتكاملة من كلّ أطرافها في شخصية العباس الأخ المدافع والمحامي والمناصر. فهل بعد هذا كله تكون ولادة الحسين (عليه السلام) في الثالث من شهر رمضان وولادة أبي الفضل العباس في الرابع منه مجرد مصادفة، أم التفاتة إلهية كشفة عن هذا الإرتباط الوثيق في المسير والمصير بين هاتين الشخصيتين اللتين ميزتا خط الشهادة بعطائهما في كربلاء؟ والحمد لله رب العالمين.²

1. القران الكريم: سورة الحجرات (49)، الآية: 13، الصفحة: 517.

2. نقلًا عن الموقع الرسمي لسماحة الشيخ محمد توفيق المقداد حفظه الله.